الباب الثاني

في اختلاف الناس في الجنة التي أسكِنَها آدمُ، عليه الصلاة والسلام وأهبط منها.

هل هي جنة الخلد، أم جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض ؟

قال منذر بن سعيد في « تفسيره » : وأمّا قوله تعالى لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوجُكَ الجنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] فقالت طائفةٌ : أسكنَ الله آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وقال آخرون : هي جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها، ليست جنة الخلد، قال : وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له ، والموجبة للقول به . وقال أبو الحسن الماوردي في « تفسيره » : واختلف الناس في الجنة التي أسكناها على قولين .

أحدهما : أنها جنة الخلد .

الثاني : أنها جنة أعدها الله تعالى لهما، وجعلها دار ابتلاء، وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين :

أحدهما : أنها في السماء ، لأنه أَهْبَطَهما منها . وهذا قول الحسن .

الثاني : أنها في الأرض ، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهذا قول ابن بحر ، وكان ذلك بعد أن أُمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام . والله أعلم بصواب ذلك . هذا كلامه .

وقال ابن الخطيب[1] في «تفسيره» المشهور : واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية ، هل كانت في الأرض أم في السماء ؟ وبتقدير أنها كانت في

---

(١) أي الفخر الرازي صاحب «التفسير الكبير» المسمى «مفاتيح الغيب».

السماء ، فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد ، أو جنة أخرى ؟ **فقال أبو القاسم البلخي ، وأبو مسلم الأصبهاني : هذه الجنة [كانت] في الأرض ، وحملا الإهباط على الانتقال من بقعةٍ إلى بقعة ، كما في قوله : ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ [البقرة : ٦٠] واحتجا عليه بوجوه .**

القول الثاني : وهو قول الجُبَّائي : أن تلك الجنة كانت في السماءِ السابعة .

والقول الثالث : وهو قول جمهور أصحابنا : أن هذه الجنة هي دار الثواب .

وقال أبو القاسم الراغب في « تفسيره » : واختلف في الجنة التي أسكنها آدم ، فقال بعض المتكلمين : كان بستاناً جعله الله تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى ، وذكر بعض الاستدلال على القولين .

وممن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرُّمَّاني في « تفسيره » واختار أنها جنة الخلد ، ثم قال : والمذهب الذي اخترناه ، قول الحسن وعمرو ، وواصل وأكثر أصحابنا ، وهو قول أبي علي ، وشيخنا أبي بكر ، وعليه أهل التفسير ، واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة ، وجعله قولاً رابعاً فقال :

والقول الرابع : أن الكل ممكن ، والأدلة متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع[1] .

قال منذر بن سعيد : والقول بأنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه قال : وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم [عليه السلام] ، بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني ، ما أتوا بحجةٍ من كتاب ولا سنة ، ولا أثر عن صاحب ، ولا تابع ، ولا تابع التابع ، لا موصولاً ولا شاذاً مشهوراً .

وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله ، قالوا : إن جنة آدم ليست جنة الخلد ، وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ، ليسوا عند أحدٍ من الشاذين

---

(١) الأقوال الأربعة : ذكرها الفخر الرازي ٣/٣ ـ ٤ .

بل من رؤساء المخالفين . وإنما قلت : هـذا ليعلم أني لم أنصر مـذهب أبي حنيفة ، وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القـرآن والسنة . هـذا ابن مُزَين المالكي يقول في « تفسيره » : سألتُ ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هي ؟ فقال : السكوت عن الكلام في هذا أفضل ، وهذا ابن عيينة يقول في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ لَـكَ أَلَّا تَجُـوعَ فِيهـا ولَا تَعْـرَى ﴾ [طـه : ١١٨] قـال : يعني في الأرض ، وابن نافع : إمام ، وابن عُيَيْنَةَ : إمام ، وهم لا يأتوننا بمثلهما،و[لا] من يضاد قوله قولهما .

وهـذا ابن قُتَيْبَة ذكـر في كتاب « المعـارف » بعد ذكـره : خلق الله لآدم وزوجه ، قال : ثم تركهما ، وقال : أثمروا وأكثروا ، واملؤا الأرض، وتسلطوا على أنوانِ[1] البحور ، وطير السماء ، والأنعام ، وعشبِ الأرض ، وشجرها ، وثمرها ، فأخبرَ أن في الأرضِ خلقه ، وفيها أمره ، ثم قال : ونصبَ الفردوسَ فانقسم على أربعة أقسام : سَيحونُ، وجيحـونُ، ودِجلة ، والفرات ، ثم ذكـرَ الحيَّة فقال : وكـانت أعظمَ دواب البـرِّ ، فقالت للمـرأة : إنَّكما لا تمـوتان إن أَكَلْتُما من هذه الشجرة .

ثم قال ـ بعد كلام ـ : ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض ، التي منهـا أُخِذَ ، ثم قـال : قال وهب : وكـان مهبطُهُ حين أهبطَ من جنَّـة عدن في شـرقي أرض الهند . قـال : واحتمل قـابيلُ أخـاه حتى أتى به وادياً من أودية اليمن ، في شرقي عدن ، فكمن فيه . وقال غيره فيما نقل أبو صـالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ ، هو كما يقول : هبط فلان أرض كذا وكذا .

قال منذر بن سعيـد : فهذا وهب بن مُنَبـه يحكي : أَنَّ آدم عليه السـلام خُلِقَ في الأرض ، وفيها سكن ، وفيها نُصب له الفردوسُ ، وأنه كان بعـدن ، وأن الأربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يُسمَّى فردوس آدم ، وتلك الأنهار بقيت في الأرض ، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، فاعتبروا يا أولي الألبـاب . وأخبر أن الحيـة التي كلمت آدم كانت من أعـظم دواب البر ، ولم

---

(١) « المعارف » ص ١١ . والأنوان : جمع نون ، وهو حوت البحر .

يقل : من أعظم دواب السماء ، فهم يقولون : إن الجنة لم تكن في الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة .

ثم قال : وأخرجه من مشرق جنة عدن ، وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب ، لأنه لا شمس فيها .

ثم قال : وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها ، يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن ، في شرقي أرض الهند . وهذه الأخبار التي حكى ابن قتيبة ، إنما تنبىء عن أرض اليمن ، وعن عدن ، وهي من أرض اليمن ، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن ، ثم أكَّد ذلك بأن قال : الأربعة أنهار التي ذكرنا منقسمة عن النهر الذي كان يسمى فردوس آدم .

قال منذر: وقال ابن قُتَيْبَة عن ابن منبّه عن أبيّ قال : واشتهى آدم عند موته قِطفاً من الجنَّة التي كان فيها ـ بزعمهم على ظهرِ السماءِ السابعة ، وهو في الأرض ، فخرج أولاده : يطلبون ذلك له ، حتى بلغتهم الملائكة موته ، فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقاً ، يطلبون لأبيهم ثمرة جنة الخلد في الأرض .

قال : ونحن لم ننقل عشر ما قال هؤلاء ، ولو كانت جنَّة الخلد ، لخُلِّد فيها ، ونحن استدللنا من القرآن ، وغيرنا قطع وادَّعى ما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف في هذه المسألة ، ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء الله تعالى ، ونبين ما لهم وما عليهم ، إن شاء الله .